

كتاب الطاو والفضيلة

لاوتزو

ترجمة: علاء الديب



مكتبة علي بن صالح الرقمية

لاوتزو



كتاب الطاو والفضيلة

فلسفة

ترجمة : علاء الديب

القرن السادس قبل الميلاد



كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

مقدمة

أقدمت على ترجمة هذا النص في فترة ارتبكتُ فيها حياتي: هزائم خاصة، وهزائم عامة، وارتباك في الفكر والسلوك.

وكان لهذه الترجمة تأثيرها: لا أقول عالجَت الموقف ولكنها أضاعت بعض جوانبه، ودعتني إلى الاعتدال والبساطة في تناول الحياة.

"لو تسو" المؤلف هو رفيق "كونفوشيوس" الكبير، عاش في القرن السادس قبل الميلاد، في الأرشيف الإمبراطوري في مدينة "ليويانج"، بمقاطعة "هونان".

كانت خلاصة فكره أن الطاو الذي يمكن أن يصاغ في كلمات ليس هو الطاو الأبدي. وطبقًا للأسطورة القديمة هجر الرجل الحياة كلها، ورفض أن يسجل الحكمة، يأسًا من أحوال الناس وشروهم، وعدم جدارتهم بالحكمة. هجر الحياة وانطلق وحيدًا مع حماره، إلا أن حراس المناطق الشمالية أجبروه على تسجيل كلماته، ثم جمعوا هذه الكلمات فكانت الإحدى والثمانين قطعة التي يرجع تاريخها إلى 2500 سنة، والتي أثرت بعد ذلك في الروح الصينية وفي الأساطير والتراث والثقافة الصينية كلها.

الكونفوشيوسية تهتم بسلوك البشر في الحياة اليومية. بينما تخاطب الطاوية جانبًا أكثر روحانية في حياة الإنسان.

تقول الإحصاءات الغربية إن كتاب الطاو هو من أكثر الكتب طبعًا ومبيعًا في العالم كله (بعد الإنجيل).

والفلسفة الطاوية بسيطة: اقبل ما أمامك. لا ترغب في أن يكون الحال غير ما هو عليه. ادرس قانون الطبيعة والأشياء، واعمل طبقًا لهذا القانون، ولا تعمل ضده. أية محاولة للتغيير تستثير المقاومة.

الطبيعة تقدم كل شيء من دون أن تنتظر شكرًا أو أجرًا. هي تقدم عطاها للجميع من دون تفرقة.

لذلك دعنا نقابل الجميع بوجه واحد، ونعامل كل الناس بالمساواة. إذا أمعنا النظر، لوجدنا أن

العمل ينجز ببراعة وسرعة أكثر لو توقفنا عن تعمد المحاولة، وتوقفنا عن أن نبذل، من أجل الحصول على الأشياء، جهدًا أزيد من اللازم، وتوقفنا - أيضًا - عن انتظار النتائج وتوقعها. في العقل الساكن المفتوح، سوف تتعكس الحقيقة. حينئذ نستطيع تذوق المعنى الحقيقي للعالم، الذي يتحقق التناغم فيه من خلال دمج "الين" و"اليانج". والين هو الجوهر الأنثوي السالب في الطبيعة، والذي يتبدى في الظلمة والبرودة أو النداءة. ويتحد مع اليانج (الذكورة) فتخرج إلى الوجود جميع الأشياء. أن تفهم يعني أن تخضع. أننا نخدم من وما يقف أمامنا من دون تفرقة. ومن دون أدنى تفكير في أنفسنا. أن الـ "Te" - أي الفضيلة أو القوة - تكمن في الـ "Tao" - أي القانون الطبيعي".

هذه هي خلاصة سريعة لفكر الطاو. لكن العلاقة التي قامت بيني وبين النص امتدت لتشمل مجال الفن، ومشكلة بساطة التعبير. امتدت لتستوعب محاولة اكتشاف تلك القدرة الفائقة والضرورية للتعبير المتكرر عن البديهيات.

فكرت في قدم هذه البديهيات، وخلودها. هل العدل والصحة هنا، والفضيلة، هي سر الخلود؟ أم أن سر الخلود هو القدرة على التعبير البسيط؟

وما هو البديهي على أية حال؟

لا أعرف. لقد اقتربت من النص بروحي وقلبي أكثر مما اقتربت منه بعقلي، ولعل هذا هو أحد التناقضات الأساسية في الإنسان والتي كشف عنها الكتاب.

الترجمة الإنجليزية التي نقلت عنها هي ترجمة بسيطة جميلة، ومصورة، يقول عنها أحد النقاد المتخصصين إنها تعمدت تقريب الكلمات القديمة في النص إلى البسطاء، وإنها ترجمة حية ومباشرة لنص غاية في القدم.

قام بالترجمة من الصينية للإنجليزية "جيا-فو فنج": ولد في الصين 1919، ودرس الفلسفة هناك، ثم هاجر إلى أمريكا ليكمل الدراسة ثم يقوم بالتدريس في عدد من الجامعات حتى انتهى إلى جامعة كولورادو رئيسًا لقسم الدراسات الشرقية، وأسس جماعة تعرف باسم "جماعة التأمل الطاوي" في كولورادو.

ساعدته في الترجمة أستاذة أمريكية تعمل بالتصوير، ودارسة متخصصة في الحضارة الصينية، وقدمت مع الترجمة عددًا كبيرًا من الصور الفوتوغرافية التي تشكل جزءًا هامًا من هذه الترجمة المبدعة، وهي الأستاذة "جين إنجلش" التي تقوم بتدريس الحضارة المقارنة في جامعة كولورادو أيضًا.

وأخيرًا، فقد تفضل بمراجعة الترجمة الأستاذ الكبير بدر الديب، فأفاض عليها من علمه الغزير بالفلسفات الشرقية، وذوقه الأدبي الرفيع، ما جعل الترجمة تأخذ اتساقًا، واستقامة، ووضوحًا. وبقيت وحدي مسؤولًا عما فيها من قصور أو أخطاء.

مع أمني في أن تحمل الترجمة العربية إليك بعضًا من روح النص البديع.

علاء الديب

1

الطاو الذي يمكن أن نخبر عنه، ليس هو الطاو الأبدي.

والاسم الذي يمكن أن يسمّى، ليس هو الاسم الأبدي.

ما لا اسم له، هو بداية السماء والأرض.

أما الذي له اسم فهو الأم لعشرة آلاف شيء.

لو تجردت من الرغبة لعينت المجهول.

لو تبعت الرغبة، لشاهدت الظواهر.

الاثنان يخرجان من المصدر نفسه، ويختلفان في الاسم؛

ويبدو هذا كظلمة.

ظلمة في داخل ظلمة.

هي البوابة لكل المجهول.

تحت السماء لا يمكننا أن نرى الجمال جمالاً إلا لأن القبح موجود.

ولا يمكننا أن ندرك الخير كخير إلا لأن الشر موجود.

إذا الفقر والغنى ينشآن معاً.

الصعب والسهل يتكاملان.

الطويل والقصير يتناقضان.

العالي والمنخفض يتساندان.

الصوت والضوضاء يتناغمان.

الأمم والخلف يتتابعان.

لذلك يمشي الحكيم في الأرض، يفعل اللاشيء، يُعلم اللاكلام.

بينما العشرة آلاف تصعد وتهبط بلا توقف.

يخلق ولا يملك.

يعمل، ولا يأخذ أجراً.

ينتهي العمل، ثم يُنسى،

بذلك يخلد إلى الأبد.

3

عدم استعراض المواهب يمنع المشاحنة.

عدم جمع الكنوز يمنع السرقة.

عدم رؤية أشياء مثيرة للرجبة يمنع ارتباك القلب.

★ ★ ★

لذلك يحكم الحكيم بإفراغ العقول وملء البطون، بإضعاف المطامع وتقوية طين العظام.

★ ★ ★

إذا افتقر الناس إلى المعرفة والرجبة، فإن المتقفين لن يحاولوا التدخل.

★ ★ ★

إذا لم نفعل شيئاً، فإن كل شيء سيكون على ما يرام.

الطاو إناء فارغ، يُصب فيه ولا يمتلئ أبدًا.
يا للنبع الذي لا قرار له، مصدر عشرة آلاف شيء!

★ ★ ★

يلين الحدة.
يحل العقدة.
يخفف من بهرة الضياء.
يندمج بالتراب.

★ ★ ★

يا للمختبئ في الأعماق، والحاضر أبدًا!
أنا لا أعرف من أين يأتي.
هو أول كل الأباطرة.

السماء والأرض لا تعرفان التحيز.
 تريان العشرة آلاف شيء ككلاب قش.
 الحكماء لا يعرفون التحيز،
 يرون الناس ككلاب قش.

★ ★ ★

الفضاء بين السماء والأرض، كأنه آلة للنفخ.
 قد يتغير الشكل وتبقى الصورة واحدة.
 وكلما تحرك أعطى أكثر.

★ ★ ★

الكلمات الكثيرة تعني قليلاً.
 تمسك أنت بالمركز.

6

روح الوادي لا تموت أبدًا؛

إنها المرأة، الأم الأولى.

★ ★ ★

رحمها أصل السماء والأرض.

★ ★ ★

مثل غلالة رقيقة هي، لا تكاد تُرى.

لكن انشرها - تجدها حاضرة دائمًا أمامك.

تبقى السماء والأرض إلى الأبد.
 لم تبقى السماء والأرض إلى الأبد؟
 إنهما لم تولدا،
 لذلك إلى الأبد تعيشان.

★ ★ ★

الحكيم يبقى في الخلف، لذلك هو في المقدمة.
 هو منفصل، لذلك هو ملتحم مع الكل.
 من خلال العمل المتفاني، يحقق كمال ذاته.

أعلى الفضائل، مثل المياه.

تهب المياه الحياة للعشرة آلاف شيء، من دون جهد.

تنساب إلى أماكن يرفضها الناس، وبذلك هي مثل الطاو.

★ ★ ★

في السكن، كن قريبًا إلى الأرض.

في التأمل، غُص عميقًا في القلب.

في التعامل مع الآخرين، كن رقيقًا ولطيفًا.

في الكلام، كن صادقًا.

في الحكم، كن عادلًا.

في الحياة اليومية، كن كفؤًا.

في العمل، كن دقيقًا.

في العمل، كن مدركًا للتوقيت والموسم.

★ ★ ★

لا شجار، إذا لا ملامة.

9

توقف مبكرًا قبل أن يفيض الكيل.

اشحن حد موسى جيدًا جدًا، فسرعان ما يتبدل.

★ ★ ★

املاً الجرار بالذهب والياقوت، ولن تجد من يحرسها.

اتخذ لنفسك الثروة والألقاب، وستلاحقك الكوارث.

★ ★ ★

انسحب بعد أن تؤدي عملك.

هذا هو طريق السماء.

حاملاً الروح والجسد، معانقاً الواحد،

هل تستطيع تجنب الانفصال؟

حاضراً كلياً، ومطواعاً مثلياً،

هل تستطيع أن تكون كالطفل الوليد؟

غاسلاً الرؤية الأولى، ومنقياً إياها،

هل تستطيع أن تكون بلا وصمة؟

محباً لكل الناس، وحاكماً البلاد،

هل تستطيع أن تكون بلا دهاء؟

فاتحاً أبواب السماء، وغالقاً إياها،

هل تستطيع أن تقوم بدور امرأة؟

متفهماً كل الأشياء ومنفتحاً عليها،

هل تستطيع أن تفعل اللاشيء؟

أن تلد وتُغذي،

أن تحمل من دون تملُّك،

أن تعمل من دون أجر،

أن تقود من دون تحكُّم،

هذه هي الفضيلة الأولى.

ثلاثون ذراعًا تتشارك محور العجلة؛
ولكن الثقب المركزي هو ما يجعلها نافعة.

اصنع من الطين إناءً:

الفراغ بداخله هو ما يجعله نافعًا.

افتح للغرفة أبوابًا وشبابيك؛

الفتحات هي ما تجعلها نافعة.

★ ★ ★

تأتي المكاسب إذا من الوجود،

أما النفع فمن اللاوجود.

الألوان الخمسة تُعمي العين.

الأصوات الخمسة تُصمُّ الأذن.

الطُعم الخمسة تُفسد الذوق.

★ ★ ★

التسابق والقنص يُذهبان العقل.

الأشياء الثمينة تقود المرء للضلال.

★ ★ ★

ولهذا فالحكيم من تقوده مشاعره، لا ما يراه.

هو يتخلى عن هذا، ويختار ذاك.

تَقَبَّلَ العار بصدر ربح.

تَقَبَّلَ البلية على أنها طبيعة الوضع الإنساني.

ماذا يعني "تَقَبَّلَ العار بصدر ربح"؟

تَقَبَّلَ أن تكون عديم الأهمية.

لا تكثر للخسارة والمكسب.

هذا ما يعنيه "تَقَبَّلَ العار بصدر ربح".

★ ★ ★

ماذا يعني "تَقَبَّلَ البلية على أنها طبيعة الوضع الإنساني"؟

تأتي البلية لأن لك جسداً.

من دون جسد، كيف تَطَالُكُ البلية؟

★ ★ ★

أَسْلِمَ نفسك في تواضع، وحينئذ تكون جديراً بأن ترعى كل الأشياء.

أَحَبَّ العالم كأنه نفسك، وحينئذ تستطيع بحق أن ترعى كل الأشياء.

انظر، هو لا يمكن أن يُرى، لأنه فوق الشكل.
 أنصت، هو لا يمكن أن يُسمع، لأنه فوق السمع.
 أمسك، هو لا يمكن أن يُقبض، لأنه غير ملموس.
 الثلاثة، لا يمكن تعريفها،
 لذلك هي مجموعة في واحد.

★ ★ ★

من أعلى ليس ساطعًا،
 من أسفل ليس مظلمًا:
 خيط متواصل فوق الوصف.
 يعود إلى اللاشيء.
 شكل ما لا شكل له.
 صورة ما لا صورة له.
 يسمّى باللامعرّف وما فوق الخيال.
 قفّ أمامه، فلن ترى بداية.
 الحقّ به، فلن ترى نهاية.

★ ★ ★

أقم مع الطاو الغابر،
 وتحرك مع الحاضر.
 معرفة البداية الغابرة هي جوهر الطاو.

المعلمون القدماء حاذقون، غامضون، عميقون، متجاوبون.

عُمق معرفتهم لا يُسَبِّرُ غَوْرُهُ.

ولأن معرفتهم لا يُسَبِّرُ غَوْرُهَا،

فلن نستطيع أن نَصِفَ سوى مظهرهم فقط.

★ ★ ★

منتبهون، كأنهم رجال يعبرون سَيْلاً شتوياً.

متيقظون، كأنهم رجال مدركون للخطر.

مهذبون، كأنهم ضيوف في زيارة.

مُذْعِنون، كأنهم تَلَج على وشك الذوبان.

بُسطاء، كأنهم كُتَل من الخشب الخام.

مُجَوَّفون، كأنهم كهوف.

مُعْتَمون، كأنهم بَرَك موحلة.

★ ★ ★

مَنْ هذا الذي يستطيع أن ينتظر حتى يترسب الوحل؟

مَنْ هذا الذي يستطيع أن يبقى ساكناً حتى تحين ساعة الحركة؟

★ ★ ★

أتباع الطاو لا يبحثون عن التحقق أو الإثبات.

ولذلك فهم لا تَهْزُهُم الرغبة في التغير.

أفرغ نفسك من كل شيء.

اجعل العقل يستريح في سلام.

العشرة آلاف شيء تصعد وتهبط، بينما النفس تراقب عودتها.

العشرة آلاف شيء تنمو وتزدهر، ثم تعود إلى المصدر.

العودة إلى المصدر سكون، هذا هو طريق الطبيعة.

طريق الطبيعة لا يتغير.

معرفة الاستقرار بصيرة.

عدم معرفة الاستقرار يؤدي إلى كوارث.

معرفة الاستقرار تفتح العقل.

العقل المنفتح يجلب القلب المفتوح.

بالقلب المفتوح تتصرف تصرف الملوك.

بالتصرف الملوكي تبلغ القداسة.

وبالقداسة تكون واحدًا مع الطاو.

أن تكون واحدًا مع الطاو يعني الخلود.

ومع أن الجسد يفنى، إلا أن الطاو يبقى إلى الأبد.

أعلى الأعلالي لا يكاد يعرفه الناس.
تحت ذلك يأتي ما يعرفونه ويحبونه.
ثم ما يخافونه.
وأخيرًا ما يحتقرونه.
من لا يثق ثقة كافية، لن يُوثَقَ به.

★ ★ ★

عندما تُؤدَّى الأعمال،
من دون كلام لا لزوم له،
فإن الناس يقولون: "نحن فعلنا هذا".

عندما يُنسى الطاو الكبير،
يرتفع قدر الشفقة والأخلاقيات.
عندما تتوالد الحكمة والذكاء،
يبدأ الادعاء الكبير.

★ ★ ★

عندما لا يكون هناك سلام في داخل الأسرة،
يرتفع شأن محبة الأبناء وإخلاصهم.
عندما يَسودُ البلاد الاضطرابُ والفوضى،
يظهر الوزراء المخلصون.

تخلصوا من القداسة، وتخلُّوا عن الحكمة،
سيكون هذا أفضل مائة مرة للجميع.

★ ★ ★

تخلصوا من الشفقة، وتخلُّوا عن الأخلاقيات،
وسيعيد الناس اكتشاف التعاطف والحب بين الآباء والأبناء.

★ ★ ★

تخلصوا من الشطارة، وتخلُّوا عن المكسب،
وسيفتني اللصوص والنصابون.

★ ★ ★

هذه الحدود الثلاثة ليست إلا أشكالاً خارجية؛ هي غير كافية في حد ذاتها.

الأهم

أن يرى الإنسان البساطة،

أن يدرك طبيعته الحقيقية،

أن يطرح الأنانية،

ويروض الرغبة.

توقف عن التعلم، وَضَعْ نهاية لكل متاعبك.

هل هناك فرق بين نعم ولا؟

هل هناك فرق بين الخير والشر؟

هل يتحتم عليّ أن أخاف كل ما يخافه الآخرون؟ أي سخف هذا!

الناس الآخرون راضون، يستمتعون بالاحتفال الذي أقاموه على لحم الثور الذبيح.

في الربيع يخرج البعض إلى الحدائق، ويتسلقون الشرفات.

أنا وحدي ضائع، لا أعرف أين أنا.

كطفل ولید لم يتعلم الابتسام بعد.

أنا وحدي، ليس لي مكان أذهب إليه.

الآخرون عندهم أكثر من حاجتهم، وأنا وحدي لا أملك شيئاً.

إنني أحمق. آه... نعم. وقد اختلطت عليّ الأمور.

الرجال الآخرون، واضحون وأذكاء،

وأنا وحدي بليد وضعيف.

الآخرون حاذقون ومهرة،

وأنا وحدي عاجز وغبي.

آه... إنني أنجرف كموج البحر.

بلا وجهة، مثل رياح قلقة.

الناس كلهم عندهم ما يشغلهم،

وأنا وحدي بلا هدف ومكتئب.

أنا مختلف.

وتُغذي الأم الكبيرة.

أعظم الفضائل، أن تتبع الطاو، الطاو وحده.

الطاو مراوغ وغير محسوس.

★ ★ ★

آه... هو غير محسوس ومراوغ، ولكنه في الداخل صورة.

آه... هو مراوغ وغير محسوس، ولكنه في الداخل شكل.

آه... هو باهت ومظلم، ولكنه في الداخل جوهر.

★ ★ ★

وهذا الجوهر واقعي جدًّا، وفيه يكمن الإيمان.

من البدء حتى الآن لم يُنسَ اسمه أبدًا.

هكذا أفهم أنا الخلق.

كيف أعرف أنا سبل الخلق؟

بهذا - فقط - أستطيع أن أعرف.

تخلّ، تتفوق.

انحنِ، تستقم.

أفرغ نفسك، تمتلئ.

استهلك نفسك، تجدها.

ارضَ بالقليل، تصبح غنيًا.

امتك الكثير، ترتبك.

بالتالي يعانق الحكماء الواحد،

وبذلك يصبحون قدوة للجميع.

لا يستعرضون قدراتهم،

لذلك تشع منهم القوة.

لا يبررون أنفسهم،

لذلك فهم متميزون.

لا يتفاخرون،

لذلك يحيط بهم التقدير.

لا يدّعون،

لذلك لا يتعثرون.

★ ★ ★

هم لا يتشاجرون،

لذلك لا يتشاجر معهم أحد.

لذلك قال القدماء: "تخلّ، تتفوق"!

أكان هذا قولًا فارغًا؟
كُنْ كُلًّا واحدًا غير موزع،
تأتِ لك الأشياء جميعًا.

أن يكون كلامك قليلاً، هذا هو الأمر الطبيعي.
 فالرياح العالية لا تدوم طَوَالَ الصباح.
 والمطر الغزير لا يدوم طَوَالَ النهار.
 لِمَ هذا؟ السماء والأرض!
 إذا كانت لا السماء ولا الأرض تستطيع أن تجعل الأشياء أبدية،
 فكيف يستطيع الإنسان ذلك؟

★ ★ ★

من يتبع الطاو،
 يَصِرُ واحدًا مع الطاو.
 من هو فاضل،
 يعرف الفضيلة.
 من يضل الطريق،
 يَعِشُ الضياع.
 عندما تكون واحدًا مع الطاو
 الطاو يحتفي بك.
 عندما تكون واحدًا مع الفضيلة،
 تكون الفضيلة دائماً معك.
 عندما تكون واحدًا مع الخسارة،
 تعيش الخسارة بصدر رحب.
 من لا يثق ثقة كافية،

لن يُوثَّق به.

من يقف على أطراف أصابعه، لا يمكن أن يكون ثابتًا.

من يوسع الخطوة، لا يستطيع تنظيمها.

من يتظاهر، ليس مستديرًا.

من يحسب نفسه مصيبًا دائمًا لا يُحترم.

من يتفاخر لا يحقق شيئًا.

من يتباهى لا يبقى طويلًا.

★ ★ ★

فكما يقول أتباع الطاو: "هذا طعام زائد، وأمتعة غير ضرورية".

وهي لا تجلب السعادة،

فيتجنبها أتباع الطاو.

على نحو غامض تكوّن وتشكل،
 وولّد قبل السماء والأرض.
 في الصمت والفراغ،
 يقف ثابتًا لا يتغير.
 حاضراً أبداً، ودائم الحركة.
 ربما يكون هو أم لعشرة آلاف شيء.

★ ★ ★

أنا لا أعرف اسمه،
 فلنسمه الطاو.
 وبغياض كلمة أفضل، سأصفه بالعظيم.
 ولأنه عظيم، فهو يسبح،
 يسبح بعيداً جداً.
 وعندما يصبح في كل الأبعاد، يعود من جديد
 بالتالي "الطاو عظيم؛
 السماء عظيمة؛
 الأرض عظيمة؛
 الملك - هو الآخر - عظيم".
 هذه هي القوى الأربع الكبرى في الكون،
 والملك واحدة منها.
 الإنسان يتبع الأرض.

والأرض تتبع السماء.

والسماء تتبع الطاو.

والطاو يتبع ما هو طبيعي.

الثقل هو أصل الخفيف،
والثابت هو سيد المتحرك.

★ ★ ★

لذلك الحكيم، المرتحل طَوَّال اليوم،
لا يدع أمتعته تغيب عن عينه لحظة.
على الرغم من أن حوله أشياء جميلة يمكن أن يراها،
إلا أنه يظل هادئًا، غير متلهف على الأشياء.

★ ★ ★

لماذا يتصرف السيد الكريم، صاحب العشرة آلاف مركبة، بلا رزانة أمام الناس؟
أن تصبح خفيفًا، يعني أن تفقد جذورك.
أن تكون قلقًا، يعني أن تفقد السيطرة على نفسك.

المشأء الجيد لا يخلف وراءه أثرًا.
 الخطيب الجيد، لا يزل لسانه.
 الحاسب الجيد لا يحتاج إلى دفتر.
 الباب الجيد لا يحتاج إلى قفل،
 ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يفتحه.
 الربط الجيد، لا يحتاج إلى عقدة،
 ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يفرضه.

★ ★ ★

لذلك يهتم الحكيم بكل الناس،
 ولا يهمل أحدًا.
 يهتم بكل الأشياء،
 ولا يهمل شيئًا.
 هذا هو ما يسمى "اتباع طريق النور".

★ ★ ★

من هو الرجل الطيب؟
 إنه مدرس الرجل الشرير.
 من هو الرجل الشرير؟
 إنه بعض من مسؤولية الرجل الطيب.
 إذا لم يُحترم المدرس،
 وإذا لم ينل التلميذ الرعاية،

فإن الفوضى سوف تعم، مهما كانت براعة الإنسان.
وهذا هو سر اللغز.

اعرف قوة الرجل،
 لكن احتفظ من المرأة بقدرتها على الرعاية والاهتمام.
 كن أنت نفسك، تيار الكون!
 وإن كنت تيار الكون،
 حقيقياً دائماً، بلا انحراف،
 ترجع طفلاً مرة أخرى.
 اعرف الأبيض،
 لكن احتفظ بالأسود!
 كن قدوة للعالم!
 وإن كنت قدوة العالم،
 صادقاً دائماً، وغير متردد،
 تعود إلى المطلق.
 اعرف المجد،
 لكن اعتصم بالتواضع.
 كن الوادي في الكون!
 فإن كنت الوادي في الكون،
 صادقاً دائماً، وكثير العطاء،
 تعود إلى حالة الكتلة الخام التي لم تُنحت بعد.
 عندما تُنحت الكتلة الخام، تصبح مفيدة.

وعندما يستعملها الحكيم، يصبح الحاكم.
لذلك: "الخيَّاط العظيم لا يَقْصُ كثيرًا".

هل تتصور أنك قادر على أن تأخذ الكون على عاتقك،

وأن تصلحه؟

أنا لا أعتقد أن هذا ممكن.

الكون مقدس،

وأنت لا تستطيع أن تصلحه.

إذا أردت أن تغيره، فستدمره.

إذا أردت أن تمسك به، فستفقدته.

★ ★ ★

أحيانًا تتقدم الأشياء، وأحيانًا تتأخر.

أحيانًا يكون التنفس سهلًا، وأحيانًا يكون صعبًا.

أحيانًا يكون الإنسان قويًا، وأحيانًا يكون ضعيفًا.

أحيانًا يعلو، وأحيانًا يهبط.

★ ★ ★

لذلك فإن الحكيم من يتجنب التطرف، والإفراط، والرضا عن الذات.

إذا أردت يوماً أن تتصح حاكماً على طريق الطاو،
انصحه بألا يستخدم القوة لفتح الكون.
فهذا لن يخلف إلا المقاومة.

★ ★ ★

شجيرات الشوك تنبت على الطريق الذي داسته أقدام الجيوش.
سنوات عجاف دائماً تلي سنوات الحروب الكبيرة.

★ ★ ★

افعل ما يجب عليك أن تفعله،
ولكن أبداً - لا تستغل قوتك.

حقق النتائج،

لكن لا تتشدد أبداً بما حققت.

حقق النتائج،

لكن لا تتفاخر أبداً.

حقق النتائج،

لكن لا تتكبر أبداً.

حقق النتائج،

لأن هذا هو الطريق الطبيعي.

حقق النتائج،

ولكن ليس عن طريق القوة.

★ ★ ★

استخدام القوة يعقبه فقدان القدرة.

هذا ليس طريق الطاو.

ما يسير عكس طريق الطاو يلقى نهايته سريعًا.

الأسلحة الجيدة آلات للخوف، والمخلوقات جميعها تكرهها.
لذلك لا يستعملها أتباع الطاو أبدًا.
الرجل الحكيم يفضل اليسار.
رجل الحرب يفضل اليمين.

★ ★ ★

الأسلحة آلات الخوف، وهي ليست من أدوات الرجل الحكيم.
يستعملها - فقط - عندما لا يبقى أمامه خيار آخر.
السلام، والهدوء، أمان عزيزة على قلبه،
والانتصار - بالنسبة له - ليس مدعاة للفرح.
إذا فرحت بالانتصار، فهذا يعني أن القتل يَسْرُكُ.
وإذا كان القتل يَسْرُكُ، فلن تحقق نفسك.

★ ★ ★

في المناسبات السعيدة، تُعطى الأولوية لليसर،
في المناسبات التعسة تُعطى لليمين.
حتى في الجيوش: فإن القائد العسكري يقف إلى اليسار،
أما قائد القوات الأعلى فإنه يقف إلى اليمين.
هذا يعني أن تنظيم الحرب هو نفس تنظيم الجنازة.
عندما تُقتل أعداد كبيرة من الناس،
فإن القلوب يجب أن تمتلئ عليهم بالحزن العميق.
لذا علينا أن ننظر إلى الانتصار على أنه جنازة.

الطاو يبقى إلى الأبد مستحيل التعريف.

وعلى الرغم من أنه صغير ودقيق قبل أن يأخذ شكلاً، فإنه لا يمكن إدراكه.

★ ★ ★

إذا استطاع الملوك والحكام استئناسه وقيادته،

فسوف تُطيعهم العشرة آلاف شيء بشكل طبيعي.

وتتحد السماء والأرض،

وينزل على الناس مطر رقيق.

لا يعود الناس في حاجة إلى أوامر وتعليمات، وتأخذ كل الأشياء مجراها.

★ ★ ★

عندما ينقسم الواحد، فإن الأجزاء تكون محتاجة إلى أسماء،

وفي الدنيا ما يكفي من أسماء.

على المرء أن يعرف متى يتوقف:

بهذا يتجنب المتاعب.

★ ★ ★

الطاو يشق طريقه في العالم، كما يشق نهر طريقه إلى مصبه في البحر.

معرفة الآخرين حكمة.

معرفة النفس استتارة.

★ ★ ★

قيادة الآخرين تتطلب قوة.

قيادة النفس تقتضي القدرة.

★ ★ ★

من يشعر بأن عنده ما يكفيه غني.

المتابرة من علامات قوة الإرادة.

★ ★ ★

من يحافظ على مكانه يبقى.

أن تموت، من دون أن تهلك، ذلك هو الحضور الأبدي.

الطاو يفيض في كل اتجاه، إلى اليسار وإلى اليمين معًا.

★ ★ ★

العشرة آلاف شيء تعتمد عليه، وهو لا يمنع عنها شيئًا.

يحقق هدفه في صمت ولا يطلب شيئًا.

يغذي العشرة آلاف شيء،

ومع ذلك ليس سيدها.

★ ★ ★

إنه لا غرض له، إنه صغير جدًا.

كل العشرة آلاف تعود إليه،

ومع ذلك هو ليس سيدها.

إنه عظيم جدًا.

★ ★ ★

هو لا يُظهر العظمة،

لذلك فهو عظيم حقًا.

سوف يلجأ إليه الناس جميعًا، ذلك الذي يلزم الواحد؛
إذ تكمن عنده الراحة والسعادة والسلام.

★ ★ ★

قد يتوقف العابرون لسماع الموسيقى، ولطعام جيد،
لكن وصف الطاو يبدو من دون كيان أو مذاق.

★ ★ ★

فهو لا يمكن رؤيته أو سماعه،
ولا يمكن استنفاده.

هذا الذي ينكمش،

لا بد أولاً أن يتمدد.

هذا الذي ينهار،

لا بد أنه كان متيناً من قبل.

هذا الذي يُطرح أرضاً،

لا بد أنه كان مرفوعاً من قبل.

قبل الأخذ،

لا بد أن يكون هناك عطاء.

هذا ما يُسمى إدراك طبيعة الأشياء.

اللين والضعيف يغلبان الصلب القوي.

السّمك لا يقدر على ترك المياه العميقة،

وأسلحة البلاد يجب ألا تُطرح للعرض.

يسكن الطاو في اللافل،
لكن لا شيء يُترك غير مُنَجَز.

★ ★ ★

لو أدرك هذا الملوك والحكام،
فإن العشرة آلاف شيء ستتطور تطورًا طبيعيًا.
وإن ظلت ترغب في الفعل،
فستعود إلى بساطة المادة التي لم تتشكل بعد.
بدون الشكل لا توجد الرغبة.
وإذا انتفت الرغبة يحل الهدوء.
بهذا يعيش كل شيء في سلام.

الرجل الطيب حقًا، لا يلتفت إلى طبيته.

لذلك هو رجل طيب.

الأحمق هو من يجاهد ليكون طيبًا،

ولذلك لا يكون طيبًا أبدًا.

الرجل الطيب حقًا لا يفعل شيئًا،

ومع ذلك فهو لا يترك شيئًا غير مُنجز.

أما الأحمق فيحاول جاهدًا أن يفعل دائمًا،

ومع ذلك يبقى الكثير مما عليه أن يفعله.

عندما يفعل عطفُ القلب شيئًا،

لا يترك شيئًا غير مُنجز.

عندما يفعل الرجل العادل شيئًا،

فإن أشياء كثيرة تبقى ناقصة.

عندما يفعل الرجل المحب للنظام شيئًا، ولا يستجيب له أحد،

فإنه يشمر عن ساعديه ويحاول فرض النظام.

إذا لذلك، إذا ضاع الطاو، قامت الطيبة.

وإذا ضاعت الطيبة، قام العطف.

وإذا ضاع العطف، قام العدل.

وإذا ضاع العدل، قامت الطقوس.

عندئذ تصبح الطقوس مجرد القشرة الخارجية للإيمان والولاء، وبداية الاضطراب.

أما معرفة المستقبل فهي مجرد فخ مُزوَّق للطاو.

وهي بداية الحماقة.

لذلك فإن الرجل العظيم حقًا، لا يهتم إلا بما هو حقيقي،

وليس بما هو على السطح.

يهتم بالثمرة لا بالزهرة.

يقبل الأولى، ويرفض الثانية.

هذه الأشياء القادمة من الزمن الغابر تتبع من الواحد:

السماء واحدة، وصافية.

الأرض واحدة، وصلبة.

الروح واحدة، وقوية.

الوادي واحد، ومليء.

العشرة آلاف شيء، مكتملة وحيّة.

الملوك والحكام كاملون، والبلاد مستقيمة.

كل هذا بفضل الوحدة.

صفاء السماء يمنع سقوطها.

صلابة الأرض تمنعها من التشقق.

قوة الروح تجعلها لا تُستهلك.

امتلاء الوادي يمنعه من التيبس والجفاف.

نمو العشرة آلاف شيء يمنع موتها.

قيادة الملوك والحكام تمنع البلاد من السقوط.

لذلك فالمتواضع أصل النبيل.

المنخفض أصل المرتفع.

الأمرء والحكام يعتبرون أنفسهم أيتامًا، وأرامل، وصعاليك.

أليس اعتمادهم الأول على التواضع؟

النجاح الباهر ليس ميزة.

★ ★ ★

لا تصلصل وكأنك مصنوع من اليشم،

ولا تَطِنُ مثل أجراسٍ من حجر.

العودة هي حركة الطاو.

الخضوع هو طريق الطاو.

★ ★ ★

العشرة آلاف شيء تولد من الوجود.

الوجود يولد من اللاوجود.

التلميذ الحكيم يسمع عن الطاو فيطبقه بجد ونشاط.
 التلميذ المتوسط يسمع عن الطاو فيفكر فيه بين الحين والآخر.
 التلميذ الأحمق يسمع عن الطاو فيضحك.
 لولا هذه الضحكات ما كان الطاو ما هو عليه.

★ ★ ★

فكما هو مكتوب:
 الطريق المنير يبدو مظلمًا؛
 التقدم يبدو وكأنه تَقَهُّرٌ؛
 الطريق السهل يبدو صعبًا؛
 أعلى الفضائل تبدو فارغة؛
 النقاء العظيم يبدو ملطخًا؛
 ثروة من الفضائل تبدو غير كافية؛
 قوة الفضائل تبدو واهنة؛
 الفضيلة الحقيقية تبدو وكأنها غير حقيقية؛
 المربع الكامل لا زوايا له؛
 المواهب الكبيرة تتضج متأخرة؛
 أعلى النغمات الموسيقية لا تُسمع.
 أعظم الصور بلا شكل.
 الطاو مختبئ ولا اسم له.
 وحده الطاو هو الذي يغذي كل الأشياء، ويصل بها إلى كمال التحقق.

عن الطاو وُلِد الواحد.

عن الواحد وُلِد الاثنان.

عن الاثنين وُلِد الثلاثة.

وعن الثلاثة وُلِد العشرة آلاف شيء.

العشرة آلاف شيء تحمل "الين" وتعانق "اليانج".

وهي تحقق التناغم بالدمج بين هاتين القوتين.

الناس يكرهون أن يكونوا أيتامًا، أو أرامل، أو صعاليك.

ولكنَّ الملوك والحكام يصفون أنفسهم بهذه الصفات.

★ ★ ★

إذ يكسب الإنسان عندما يخسر،

ويخسر عندما يحقق المكاسب.

أنا - أيضًا - أعلم ما يُعلِّمه الآخرون:

"الرجل العنيف يلقي ميتة عنيفة".

هذا هو جوهر تعاليمي.

أكثر الأشياء ليونةً في الكون،
تغلب أكثر الأشياء صلابة.

★ ★ ★

ذاك الذي لا جوهر له، يدخل حيث لا مكان.
من هذا أعلم قيمة اللافعل.

★ ★ ★

التعليم بلا كلمات، والعمل بلا فعل،
أشياء لا يقدر على فهمها إلا قليل من الناس.

شهرة الإنسان أم نفسه: أيهما أهم؟

النفس أم الثروة: أيهما أغلى؟

المكسب أم الخسارة: أيهما أشد إيلاَمًا؟

★ ★ ★

من يتعلق بالأشياء سيعاني كثيرًا.

من يدّخر سيعاني الخسارة الثقيلة.

★ ★ ★

الرجل الراضي لا يخيب أمله أبدًا.

من يعرف متى يتوقف، لا يجلب على نفسه المتاعب.

إنه يبقى دائمًا في أمان.

الإنجازات الكبيرة تبدو ناقصة،

مع ذلك هي لا تعيش بعد استنفاد منافعها.

الامتلاء العظيم يبدو فارغاً،

مع ذلك هو لا يُستهلك.

الاستقامة العظيمة تبدو معوجة.

★ ★ ★

الذكاء العظيم يبدو غباءً.

والفصاحة العظيمة تبدو وكأنها تلعث.

الحركة تقهر البرودة.

والسكون يغلب الحرارة.

السكون والهدوء يجعلان كل أشياء الكون في نظام.

عندما يكون الطاو حاضراً في الكون،

تجر الخيول عربات السماد.

عندما يكون الطاو غائباً عن الكون،

فإن خيول الحرب تُربى خارج المدينة.

★ ★ ★

لا خطيئة أكبر من الرغبة.

لا لعنة أكبر من عدم الرضا.

لا بلية أكبر من ابتغاء شيء للنفس.

من يعرف أن الكفاية كافية، يحصل دائماً على ما يكفيه.

من دون أن تخرج، تستطيع أن تعرف العالم كله.
 من دون أن تنتظر من النافذة، تستطيع أن تعرف طرق السماء.
 كلما ارتحلتَ بعيدًا، قلَّ ما تعرفه.

★ ★ ★

لذلك يعرف الحكيم من دون أن يسافر؛
 يرى من دون أن ينظر؛
 يعمل من دون أن يفعل.

في اتّباع التعلُّم، نكتسب كل يوم شيئاً.

في اتّباع الطاو، نُسقط كل يوم شيئاً.

★ ★ ★

ويتناقص ما يُفعل شيئاً فشيئاً،

حتى نصل إلى اللافعل.

عندما لا نفعل شيئاً، لا شيء يُترك غير منجز.

★ ★ ★

يُحكم العالم بأن تُترك الأشياء، لكي تأخذ مسارها الطبيعي.

العالم لا يُحكم بالتدخل.

ليس للحكيم رأي خاص.
 فهو مدرك لاحتياجات الآخرين.
 إنني طيب مع الناس الطيبين.
 وأنا طيب - أيضًا - مع غير الطيبين،
 لأن الفضيلة هي الطيبة.
 أثق في الناس المخلصين.
 وأثق - أيضًا - في غير المخلصين.
 لأن الفضيلة في الإخلاص.

★ ★ ★

الحكيم خجول ومتواضع - ويبدو مُربكًا للعالم.
 يسمعه الآخرون ويتفرجون عليه.
 وهو يتصرف كطفل صغير.

بين الميلاد والموت،

ثلاثة رجال من كل عشرة هم أتباع الحياة،

ثلاثة من كل عشرة هم أتباع الموت،

والذين يعبرون فقط من الميلاد إلى الموت، هم ثلاثة أيضًا من كل عشرة.

لَمْ هذا؟

ذلك لأنهم يعيشون حياتهم على مستوى الجسد.

الذي يعرف كيف يعيش، يستطيع السير في أي مكان.

لا يخاف وحيد القرن أو النمر.

لن يتلقى جراحًا في المعركة.

لن يجد وحيد القرن مكانًا لكي يغرز فيه قرنه،

والنمر لن يجد مكانًا ينشب فيه مخالبه،

ولا السلاح مكانًا ليخترقه.

لَمْ هذا؟

لأنه ليس فيه مكان يدخل منه الموت.

كل الأشياء تتبع من الطاو،
وتتغذى بالفضيلة،
وتتشكل من المادة،
وتتحدد بالبيئة المحيطة.

★ ★ ★

لذلك فإن العشرة آلاف شيء تحترم الطاو وتكرم الفضيلة.
احترام الطاو وتكريم الفضيلة ليسا مفروضين على أحد.
ولكنهما مُتضمنان في طبيعة الأشياء.

★ ★ ★

لذلك كل الأشياء تتبع من الطاو.
بالفضيلة تتغذى،
تتطور، وتلقى العناية،
تجد المأوى والراحة،
تنمو، وتجد الحماية.

★ ★ ★

الخلق من دون ادعاء،
الفعل من دون أجر،
القيادة من دون تدخّل،
هذه هي الفضيلة الأولى.

بداية الكون

هي أم كل الأشياء.

معرفة الأم تعني معرفة الأبناء.

ومعرفة الأبناء، من دون الانفصال عن الأم،

تجلب التحرر من خشية الموت.

★ ★ ★

احتفظ بفمك مغلقاً،

وراقب حواسك،

تجد الحياة مليئة.

افتح فمك،

وكن دائماً مشغولاً،

لا تجد في الحياة أملاً.

★ ★ ★

رؤية الأشياء الصغيرة: بصيرة.

الخضوع للقوة: مقدرة.

استعمل الضوء الخارجي، لتعود إلى البصيرة.

بهذه الطريقة تخلص من كل الأضرار.

هذا هو تعلُّم الثبات.

لو أن لي حتى قليلاً من العقل،
 لسِرْتُ في الطريق الرئيسي، وكان خوفي الوحيد أن أحيده عنه.
 اتّباع الطريق الرئيسي سهل،
 ولكن الناس مغرمون بالانحراف عنه.

★ ★ ★

عندما يكون بلاط الملك غارقاً في الفخامة،
 فإن الحقول تمتلئ بالحشائش والأعشاب،
 وتفرغ مخازن الحبوب.

★ ★ ★

بعض الناس يرتدون ملابس مزركشة،
 ويحملون أسلحة حادة،
 ويملأون بطونهم بالطعام والشراب.
 تصبح ممتلكاتهم أكثر مما يستعملون.

★ ★ ★

هؤلاء هم السادة اللصوص.
 طريقهم - بالتأكيد - ليس طريق الطاو.

ما له أساس متين، لا يمكن اقتلاعه.
وما يُمسك به جيدًا، لا يتسرب من القبضة.
سيكون موضع تبجيل من جيل إلى جيل.

★ ★ ★

ازرع الفضيلة في نفسك،
تصبح الفضيلة حقيقة.
ازرعها في الأسرة،
تظل أبدًا فياضة.
ازرعها في القرية،
تنمو الفضيلة.
ازرعها في الأمة،
تصبح موفورة.
ازرعها في الكون،
تجدها في كل مكان.

★ ★ ★

لهذا انظر إلى الجسد كجسد،
انظر إلى العائلة على أنها عائلة،
انظر إلى القرية على أنها قرية؛
والى الأمة على أنها أمة.
انظر إلى الكون على أنه كون.

كيف عرفت أنا أن الكون كذلك؟
بالنظر!

من تملأه الفضيلة، يكون مثل طفل حديث الولادة.

الزنابير والحيات لا تلدغه،

الوحوش الكاسرة لا تنقض عليه،

ولا تهاجمه الطيور الجوارح.

عظامه لينّة، وعضلاته ضعيفة،

ولكن قبضته متينة.

إنه لم يعرف الاتحاد بين الرجل والمرأة، ولكنه مكتمل.

رجولته قوية.

يصرخ طوال النهار، ولا يُبُحُّ صوته؛

هذا هو التناغم الكامل.

معرفة التناغم تعني الثبات.

وبمعرفة الثبات تتحقق الاستنارة.

ليس من الحكمة أن تندفع.

السيطرة على التنفس تجلب التوتر.

وعندما تبالغ في بذل المجهود، يكون الإرهاق.

هذا ليس طريق الطاو.

وكل ما هو عكس الطاو لا يدوم طويلاً.

الذين يعرفون لا يتكلمون.
والذين يتكلمون لا يعرفون.

★ ★ ★

احتفظ بفمك مغلقاً.
راقب حواسك.
ليّن حديثك.
أخفِ ذكاءك.
كن واحداً مع تراب الأرض.
هذه هي الوحدة الأولى.

★ ★ ★

من حقق هذه الحالة
لا يهتم الأصدقاء ولا الأعداء،
ولا يهتم بالطيّب أو الخبيث، ولا بالمجد أو المهانة.
تلك هي أعلى حالات الإنسان.

احكم الأمة بالعدل.

وإذا شنت الحرب فليكن ذلك بضربات مباغته.

كن سيدًا للعالم، من دون أن تجاهد في سبيل ذلك.

أما كيف عرفتُ أنا، أن هذه هي الحال؟

فقد عرفتُها بما يلي!

★ ★ ★

كلما كثرت القوانين والمحظورات،

ازداد الناس فقرًا.

كلما ازدادت الأسلحة مضاءً،

زادت المتاعب في الأرض.

كلما كان الناس أذكىء وشُطَّارًا،

زادت الغرائب في الأرض.

كلما زادت القواعد والتنظيمات،

زاد عدد اللصوص وقُطاع الطرق.

★ ★ ★

لذلك يقول الحكيم:

أنا لا أقوم بفعل، لذلك يزداد صلاح الناس؛

أنا أتمتع بالسلام، فتزيد أمانة الناس؛

أنا لا أفعل شيئًا، لذلك يزداد ثراء الناس؛

ليس لي مطامع أو رغبات، هكذا يعود الناس إلى الحياة الطيبة البسيطة.

عندما تُحكم البلاد بيدٍ رفيقة،

يصبح الناس بسطاء.

وعندما تُحكم بالقساوة،

يصبح الناس خُبثاء محتالين.

★ ★ ★

أصل السعادة في الشقاء.

ويكمن الشقاء تحت السعادة.

من ذا الذي يعرف ما يخفيه المستقبل؟

فليس هناك أمانة،

الأمانة تصبح خيانة،

والطيبة تصبح شعوذة،

وضلال الإنسان يدوم طويلًا.

★ ★ ★

ولهذا كان الحكيم حادًا، ولكنه غير محتال؛

مدبب، ولكنه غير نافذ؛

عادل قويم، ولكنه قادر على ضبط أحكامه؛

مضيء لامع، لكن نوره لا يُغشي العيون.

في الاهتمام بالآخرين وخدمة السماء،
ليس هناك أفضل من التحكم في النفس.
والتحكم في النفس يبدأ بالقدرة على التخلص من أفكار المرء الخاصة.
وهذا يعتمد على ما جمعه من فضيلة في الماضي.
فإذا كان هناك مخزون كافٍ من الفضيلة، فلن يكون هناك مستحيل.
وإذا لم يكن هناك مستحيل، فلن تكون هناك حدود.
وإذا لم يعرف الإنسان حدودًا، فهو جدير بأن يكون حاكمًا.
ومع تحقق المبدأ الأم للحكم، يبقى الحكم صالحًا أمداً طويلاً.
وهذا هو ما يسمى: الجذور العميقة والأساس المتين.
إنه طاو الحياة المديدة، والرؤية الأبدية.

حكم البلاد يشبه طبخ سمكة صغيرة.

اقترب من الكون بالطاو،

ولن تكون للشر قوة.

هذا لا يعني أن الشر ليس قويًا،

ولكن قوته لن تستخدم للإضرار بالآخرين.

★ ★ ★

ولن يكون الشر عاجزًا عن إيذاء الآخرين فقط،

بل إن الحكيم سيجد نفسه محميًا هو الآخر.

لن يؤذي أحدهما الآخر،

والفضيلة عند كل منهما ستعش كليهما.

البلد الكبير مثل السهل المنخفض.

أرض يلتقي فيها كل الكون،

هي أم لكل الكون.

الأنثى تغلب الذكر بالثبات،

بأن ترقد تحته ثابتة مستقرة.

★ ★ ★

لذلك إذا استسلمت أمة كبيرة لأمة أصغر منها،

فسوف تنهزم الأمة الصغرى.

وإذا خضعت أمة صغيرة لأمة كبيرة،

فإنها تستطيع أن تهزم الأمة الكبيرة.

لذلك: هؤلاء الذين يَغلبون عليهم - أولًا - أن يخضعوا.

والغالبون يستطيعون ذلك، لأنهم يخضعون.

تحتاج الأمة الكبيرة لمزيد من البشر؛

أما الأمة الصغيرة فعليها أن تقدم الخدمات.

وكلُّ منهما تحصل على ما تحتاجه.

ولذا يجدر بالأمة الكبيرة أن تخضع.

الطاو منبع العشرة آلاف شيء.

الطاو هو كنز الرجل الطيب، وملاذ الرجل الشرير.

★ ★ ★

الكلمات الجميلة يمكن أن تشتري المجد.

والأفعال الطيبة يمكن أن تجلب الاحترام.

إذا كان الرجل شريراً فلا تهجره.

★ ★ ★

لذلك، ففي يوم تتويج الإمبراطور

أو في اليوم الذي يُرسم فيه ضباط الدولة الثلاثة،

لا ترسل اليشم، ولا تبعث بالمركبات التي تجرها الخيول الأربعة،

ولكن كن ثابتاً، وقدم الطاو.

★ ★ ★

لماذا يحب الناس الطاو بهذا القدر للوهلة الأولى؟

أليس ذلك لأنك تجد عنده ما تبحث عنه، وعنده تُغفر خطيئتك؟

لذلك، فإن الطاو أعظم كنوز الأرض.

مارس اللافعل.

اعمل من دون فعل.

تذوق ما لا طعم له.

اجعل الصغير كبيراً، وزد في القليل.

قابل المرارة بالإحسان.

★ ★ ★

ابحث عن البساطة في التعقيد.

حقق العظمة في الأشياء الصغيرة.

في الكون تتحقق الأشياء الصعبة، وكأنها أشياء يسيرة.

في الكون تتحقق الأشياء العظيمة، من أفعال صغيرة.

والحكيم لا يُقدِّم على فعل أشياء كبيرة جدًّا،

لذلك فهو يحقق العظمة.

★ ★ ★

الوعود السهلة تؤدي إلى فقدان الثقة.

أخذ الأمور بخفة، يجلب مصاعب كبيرة.

ولأن الحكيم يواجه المصاعب دائماً،

فهو لا يقع أسيراً لها.

المحافظة على السلام سهلة،
مقاومة الاضطراب ممكنة قبل أن يبدأ.
الشيء الهش من السهل تحطيمه،
والضئيل يتبدد بسهولة.
تعامل مع ذلك، قبل أن يحدث.
نظم الأشياء قبل أن تستشري الفوضى فيها.
شجرة أكبر من امتداد ذراعي رجل تنبت من نبت صغير، والشرفة ذات الطوابق التسعة
تؤسس على حفنة من تراب، والرحلة التي طولها ألف ميل تبدأ تحت قدميك.

★ ★ ★

من يحاول أن يفعل، يهزم أغراضه.
من يحاول أن يمسك بالأشياء، يخسر.
أما الحكيم فهو لا يفعل، لذلك لا يهزم.
لا يحاول امتلاك الأشياء، فلا يخسر.

★ ★ ★

يفشل الناس عادة، عندما يكونون على وشك النجاح.
لذلك اجعل للنهائية نفس أهمية البداية.
عندئذ لن يكون هناك فشل.

★ ★ ★

ولهذا يبحث الحكيم عن التحرر من الرغبة.
إنه لا يجمع الأشياء الثمينة.

يتعلم ألا يتمسك بالأفكار.

يُعيد الناس إلى الأشياء التي فقدوها.

ويساعد العشرة آلاف شيء على أن تجد مسارها الطبيعي،

لكنه مع ذلك يمتنع عن الفعل.

في البداية، لم يحاول من عرفوا الطاو أن يضيئوا الطريق للآخرين،

بل تركوهم في الظلام.

لماذا هو صعب جدًا أن تحكم؟

ذلك لأن الناس أذكاء.

والحكام الذين يستعملون ذكاءهم

يُعشُّون البلد.

أما الذين يحكمون بلا ذكاء

فهم نعمة على الأرض.

وهذان هما الخياران.

وإدراك هذا هو الفضيلة الأولى.

فالفضيلة الأولى عميقة وبعيدة.

إنها تقود كل الأشياء - مرة أخرى -

إلى الوحدة الكبرى.

لماذا البحر مَلَك على مئات الجداول؟

لأنه يقع تحتها.

لذلك هو الملك على مئات الجداول.

إذا أراد الحكيم أن يرشد الناس، فلا بد أن يخدمهم في تواضع.

وإذا أراد أن يقودهم، فلا بد أن يبقى في المؤخرة.

عندئذ لو حكم الحكيم، فلن يشعر الناس بالقهر.

وإذا وقف أمامهم، فلن يصيبهم ضرر.

العالم كله سيساعده ولن يضجر منه.

لأنه لا ينافس أحداً،

فلن ينافسَه أحد.

كل إنسان تحت هذه السماء يقول الطاو الذي أعتنقه عظيم، لا يقارن.
ولأنه عظيم، فهو يبدو مختلفًا.

ولو لم يكن مختلفًا، لتلاشى منذ زمن بعيد.

★ ★ ★

كنوز ثلاثة، أعتني بها وأحافظ عليها:

الأول هو الرحمة؛

الثاني هو الاقتصاد؛

أما الثالث فهو قدرتي على ألا أكون في مقدمة الآخرين.

من ارحمة تأتي الشجاعة؛

من الاقتصاد يأتي الكرم؛

من التواضع تأتي القيادة.

في أيامنا هذه يتكرر الناس للرحمة، لكنهم يحاولون أن يكونوا شجعانًا.

هم يهجرون الاقتصاد، لكنهم يحاولون أن يكونوا كرماء.

هم لا يؤمنون بالتواضع، لكنهم يحاولون دائمًا أن يكونوا في المقدمة.

وهذا هو الموت المُحقَّق.

الرحمة تجلب النصر في المعارك، والقوة في الدفاع.

بالرحمة نتقذنا السماء، وتحمينا.

الجندي الجيد ليس عنيفًا.

المحارب الجيد ليس غضوبًا.

المنتصر الجيد ليس منتقمًا.

صاحب العمل الجيد متواضع.

هذا هو ما يُعرف بفضيلة عدم المجاهدة.

هذا هو ما يُعرف بالقدرة على التعامل مع الناس.

وهذا هو ما يُعرف منذ قديم الأزل بالتوحد الأقصى مع السماء.

هناك مَثَلٌ يؤمن به الجنود في الحرب:
لا أجروا أن آخذ الخطوة الأولى، وأفضل أن أستقبل من يهجم عليّ؛
لا أجروا على أن أتقدم بوصة، وأفضل أن أراجع قدماً.

★ ★ ★

هذا هو ما يُقال عنه التقدم من دون حركة ظاهرة،
تشمير الأكمام من دون إبداء الذراعين،
أسر الأعداء من دون هجوم،
أن تكون مدرعاً بلا أسلحة.

ليس هناك مصيبة أكبر من التقليل من شأن العدو.
فبالتقليل من شأن العدو، أكاد أفقد كل ما أعتزُّ به أنا.

★ ★ ★

لذلك عندما تدور رَحَى الحرب،
فإن الغلبة تكون للمضطهد، المتوقَّع هزيمته.

كلماتي سهلة الفهم، وسهلة الأداء معًا،
ومع ذلك ليس هناك إنسان تحت السماء، يفهمها أو يمارسها.
كلماتي لها بدايات قديمة.
أفعالي مُحَكَّمة النظام.
ولكن لأن الناس لا يفهمون، فإنهم لا يعرفونني.
من يعرفوني قلائلُ
من يُسيئون إليَّ يُكْرَمون.
لذلك يرتدي الحكيم ثيابًا خشنَةً، ويحتفظ في قلبه بالجوهرَة.

معرفة الجهل قوةٌ وصحة.

أما الجهل بالمعرفة فهو سقمٌ ومرض.

★ ★ ★

إذا ضاق الإنسان بالمرض فهو ليس مريضًا.

★ ★ ★

والحكيم ليس مريضًا، لأنه قد ضاق بالمرض.

لذلك هو ليس مريضًا.

إذا فقدَ الناسَ حسَّ الإعجاب والتوقير، فسَتَحُلُّ الكوارث.

★ ★ ★

فلا تَقْتَحِم منازلهم.

ولا تضايقهم في أعمالهم.

إذا لم تتدخل، فلن يضيقوا بك.

★ ★ ★

لذلك يعرف الحكيم قدر نفسه، لكنه لا يستعرض.

يحترم نفسه، لكنه ليس متكبرًا.

إنه يتخلى عن هذا، ويختار ذاك.

الرجل الشجاع المنفعل، سوف يَقْتُل أو يُقْتَل.
أما الرجل الشجاع الهادئ فسوف يحتفظ دومًا بالحياة.

★ ★ ★

من هذين الاثنين، مَنْ هو النافع؟ وَمَنْ هو الضار؟
بعض الأشياء لا تباركها السماء.
من يدري الأسباب؟
حتى الحكيم ليس متأكدًا من هذا.

★ ★ ★

طاو السماء لا يجاهد، لكنه دائمًا ينتصر.
هو لا يتكلم، لكن دائمًا يُستجاب له.
لا يطلب، لكن يأتيه ما يحتاجه.
يبدو بلا هدف، لكن غايته تتحقق.
شبكة السماء تنفرد على مساحة واسعة.
ومع أن خيوطها خشنة غليظة، فإن شيئًا لا يفلت منها.

إذا كان الناس لا يخافون أن يموتوا،
 فلا فائدة من تخويفهم بالموت.
 أما إذا كان الناس يعيشون في رعب دائم من الموت،
 وكان خرق القانون يعني أن يُقتل الإنسان،
 فمن هذا الذي يجسُر على خرق القانون؟
 هناك دائمًا جلاّد رسمي،
 فإذا أردت أن تأخذ مكانه،
 فكأنك تحاول أن تكون مثل سيد النجارين وتقطع الخشب.
 إذا حاولت تقطيع الخشب كما يفعل سيد النجارين، فلن تصيب إلّا يدك.

لماذا يجوع الناس؟

لأن الحكام يأكلون النقود بالضرائب؛

لذلك يجوع الناس.

لماذا يتمرّد الناس؟

لأن الحكام يتدخلون أزيد من اللازم؛

لذلك يتمرّد الناس.

لماذا يستهين الناس بالموت؟

لأن الحكام يطلبون أشياء كثيرة من الحياة؛

لذلك يفكر الناس في الموت باستهانة.

وعندما يكون عند الإنسان القليلُ ليعيش عليه، فإنه يتعلم ألاّ يبالغ في قيمة الحياة.

يولد الإنسان رقيقًا ضعيفًا،
وعندما يحضره الموت يكون جامدًا متينًا.
كذلك النبات الأخضر، نضراً ليناً مليء بالعصارة،
وعندما يموت يكون ذابلًا وجافًا.
ولذلك فالجفاف وعدم الليونة هما من أتباع الموت،
أما الرقة والليونة فأتباع للحياة؛
لذلك، فجيش بلا مرونة لا يكسب أبدًا المعركة.
الشجرة التي لا تتحني تُكسر بسهولة،
والقاسي القوي يسقط،
أما اللين الضعيف فيتغلب.

طاو السماء مثل انحناء القوس.
 ينخفض الأعلى، ويعلو المنخفض.
 إذا كان الوتر طويلاً يُقَصَّر؛
 وإن كان قصيراً يُطَوَّل.

★ ★ ★

طاو السماء هو أخذُ ممن عنده زيادة، وإعطاءُ من ليس عنده كفاية.

★ ★ ★

أما طريق الإنسان فهو مختلف.
 فهو يأخذُ ممن ليس عنده كفاية، ليعطي من عنده أزيد من حاجته.

★ ★ ★

من هو الإنسان الذي عنده أكثر من حاجته، ويعطيه للعالم؟
 إنه إنسان الطاو وحده.

لذلك يعمل الحكيم من دون أن ينتظر عرفاناً.

يؤدي ما عليه من دون إلحاح،
 ولا يحاول أن يستعرض معرفته.

لا يوجد تحت السماء ما هو أكثر ليونةً وخضوعاً من المياه،
لكن ليس مثلها في الهجوم على الجامد القوي.
وليس لها في ذلك نظير.

★ ★ ★

يستطيع الضعيف أن يغلب القوي.
يستطيع اللين أن يغلب الصلب.
كل من تحت السماء يعرف هذا،
لكنَّ أحدًا لا يطبقه.

★ ★ ★

لذلك يقول الحكيم:
من يأخذ على عاتقه هوان الناس ووضعتهم، يصلح لقيادتهم.
ومن يأخذ على عاتقه مآسي البلاد، يصلح لأن يكون ملكاً على الكون.
الحقيقة تبدو غالباً متناقضة.

بعد المعارك الضارية، يبقى في النفوس بعضُ الضغائن،
 لا حيلة لأحد في ذلك.
 لذلك يحافظ الرجل الحكيم على ما عليه للناس في التعامل معهم،
 ولا يطالب بما له.
 يؤدي الرجل الفاضل ما عليه،
 أما الرجل الذي بلا فضيلة فإنه يطالب الآخرين بأن يؤديوا ما عليهم.

★ ★ ★

طاو السماء غير مُنحاز،
 وهو يظل مع الرجال الطيبين طَوَالَ الوقت.

البلد الصغير يسكنه ناس أقل.

ومع أن هناك آلات تعمل أسرع من الإنسان عشر أو مائة مرة، فإن أحدًا لا يحتاج إليها.
يأخذ الناس الموت مأخذ الجد، ولا يسافرون بعيدًا.

★ ★ ★

يملكون السفن والمركبات، لكنهم لا يستعملونها.

وعندهم الأسلحة والدروع، لكنهم لا يعرضونها.

★ ★ ★

يعملون عُقْدًا على الحبال بدلًا من الكتابة.

طعامهم بسيط ولكنه جيد، ملابسهم جميلة ولكنها بسيطة،

وبيوتهم آمنة.

وهم سعداء بطريقتهم الخاصة.

★ ★ ★

على الرغم من أنهم يعيشون على مرمى البصر من جيرانهم،

ويسمعون صياح الدَّيْكة، ونُبّاح الكلاب عبر الشوارع،

إلا أن كلاً منهم يَدَع الآخر في حاله، بينما هم يَشِيخُون ويموتون.

الكلمات الحقيقية ليست جميلة.

الكلمات الجميلة ليست حقيقية.

الرجال الطيبون لا يتجادلون.

الذين يتجادلون ليسوا طيبين.

العارفون لا يتعاملون.

والمتعاملون لا يعرفون.

★ ★ ★

الرجل الحكيم لا يحاول أبدًا أن يدّخر الأشياء.

كلما عمل من أجل الناس زاد ما عنده.

وكلما أعطى الآخرين زادت وفرته.

★ ★ ★

طاو السماء مُدَبَّبٌ، لكنه لا يؤذي.

وطاو الرجل الحكيم هو عملٌ من دون مُكابدة.

جدول المحتويات

مقدمة

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70

71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81